القراءة للجميع ١٧٧

مشكلة الغيرة

وسوء الظن بين الزوجين

بقلم

محمد مصطفى عبد الله الخطيب

دار الوطن للنشر

٢١٩
م غ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس :٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

☐ البـــريد الإلكتـــروني : pop@dar-alwatan.com

☐ موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

١٩/١
٤٢٣
١٨٢١٨

مشكلة
الغيرة وسوء الظن
بين الزوجين

بقلم
محمد مصطفى عبد الله الخطيب

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فقد أحببت أن أتحدث عن أمرين متداخلين يشكلان بحدِّ ذاتهما مشكلة اجتماعية قائمة بين الزوجين وهما «الغيرة وسوء الظن»

أولاً: الغيرة

تُعتبر الغيرة أمراً طبيعياً من جانب الرجل والمرأة على حد سواء، بل يمكن القول بأنها صفة ملازمة للرجل والمرأة كليهما، والباعث عليها أمور متعددة أهمها:

١ ـ حرص كل منهما على بعضهما؛ لأن كلاً منهما لباس للآخر، بدليل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ومن الذي لا يحرص على لباسه؟!

٢ ـ خوف كل منهما على الآخر أن ينصرف إلى الغير فيأتي إلى المرأة مَنْ يشاطرها حقَّها في زوجها، ويصطدم الرجل بمن يشاطره حقه في زوجته.

ولو سبرنا أعماق كلمة «الغيرة» وأحببنا أن نشرح معانيها

ومدلولاتها لوصلنا إلى ما يلي :

أ ـ الغيرة : دليل واضح على حبِّ المرأة للرجل، وكذلك حبِّ الرجل لها.

ب ـ الغيرة : وليدة انفعال ذاتي من كلا الزوجين إذا رأى من الآخر ما يكره.

جـ ـ الغيرة : سهام صائبة يسددها كل من الزوجين إلى الجهة التي برزت منها بواعثها ومسبباتها.

د ـ الغيرة : صفة تتفاوت المرأة فيها عن الرجل، فالمرأة أكثر غيرة وأشد، وفي أغلب الأحايين يكون الأمر مبالغاً فيه من قبل المرأة.

و ـ الغيرة : لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية، أما الإيجابية منها فهي ما يتعلق بتصرفات تجاوزت الضوابط الشرعية في ديننا الحنيف حيث كل من الزوجين محقّ فيها، وتجب معاقبة المخالف لأمور الشريعة . مثل أن تظهر على الرجل علامات النظر إلى غير ما أحلَّ الله له، أو أنه يقيم علاقات مريبة أو غير ذلك، ومثل هذا بالنسبة للمرأة.

أما الجوانب السلبية فكثيرة جداً منها مثلاً أن تغار المرأة من برِّ زوجها لأمه أو لأخواته أو لإخوانه، أو يغار الرجل من

امرأته التي تبر أمها وأباها وإخوانها وأخواتها، أو تغار منه إذا خرج من البيت، وتكثر مساءلته إذا رجع أين كنت؟ ومن هن اللواتي رأيتهن؟ أو تصدق عنه وشاية كاذبة أو غير ذلك.

ز - الغيرة : نقطة تحول في الحياة الزوجية إذا هي كثرت حيث لا يستقر لهما بال، ولا تهدأ لهما حال، ويفكر كل منهما بمفارقة الآخر.

ح - الغيرة : طريق مسدود في حياة كل من الزوجين إذا تجاوزت الحدود الشرعية، حيث يُخشى أن تنتهي بالطلاق.

ط - الغيرة : ربما تكون سبباً أن يُرجع كلٌّ من الزوجين باللائمة على نفسه إذا هو أطاع هواه، وملكت عليه الغيرة أحاسيسه ومشاعره.

ي - الغيرة : مقبولة إذا كانت تتم باعتدال، وكما يقولون: لا إفراط ولا تفريط. فإذا كانت بسبب وجيه فهي طيبة ولا بأس بها، وإذا كانت لأسباب تافهة فهي تافهة مثل مسبباتها وغير مقبولة.

ك - الغيرة : قد تكون بدافع الحسد، وحينئذ فهي ذاتها حسد، وقد ورد في الحديث الشريف: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[رواه البخاري].

ل ـ الغيرة : قد تكون بدافع الحقد، وهي بهذا الجانب غلٌّ منهي عنه بدليل قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر : ١٠].

م ـ الغيرة : قد تتلبس بها المرأة لتستر أمراً تحيكه في الخفاء من وراء زوجها حتى لا يظن بها سوءاً، وبهذا تأخذ هذه الغيرة صفة الكذب إذا كان الأمر عادياً . أما إذا كان يتعلق بالشرف والكرامة والعرض فهي بهذا تكون خيانة لزوجها، ومثل ذلك الرجل سواء بسواء، وقد كثرت هذه الحالة في واقعنا بسبب ضعف الإيمان وقوة نوازغ النفس ووساوس الشيطان والبعد عن الله الذي أمرنا بأن نتَّقيه حقَّ تقاته .

ن ـ قد تصل الغيرة بالرجل أو المرأة إلى حد الهوس، وبهذه الصورة فإنها تملك عليهما أحاسيسهما، وتؤثر على سلامة تصرفات كل منهما سواء في البيت أو العمل، وحينئذ يمكن القول بأن الغيرة بهذه الصفة تصير أشبه بالحالة المرضية التي تحتاج إلى علاج عند الطبيب النفسي، ولكن المؤمن الحق هو الذي يتجاوز ذلك كله ويجلس مع ذاته يفكر ويتدبر

ويكل الأمور إلى الله عز وجل الذي يعلم السرَّ وأخفى . وكلما طرأت عليه هذه الحالة عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦].

وليعلم الرجل والمرأة كلاهما أن الشيطان حريص على التفريق بين الزوجين بأية وسيلة من الوسائل، وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦].

س ـ **وقد أحببت** أن أورد هذه المناظرة الفكاهية الشعرية المعبرة عن غَيْرةٍ شديدة، كانت بين رجلٍ وعود أراكٍ حيث رأى زوجته تتسوك به فقال له :

حظيت بثغرها عود الأراك
ألم تحسبْ بأني قد أراكَ
وأقسم أنه لو كنتَ تقوى
على الضرب الشديد إذا اعتراكَ
لما أبقيتُ منك اليوم جزءاً
وما قدرتْ على منعي يداكَ

وكـــل النَّـــاس تعـــرفنـــي بحـــق
شـــديـــد البـــأس لا يخشـــى الهـــلاكَ
ولكـــن أنـــتَ مســـواك وعـــود
ولـــم يسلـــم مـــن الضـــرب ســـواكَ

ع ـ قد تكون الغيرة بسبب ارتكاب محظور نهى رسول الله ﷺ عنه وهو الظن السيئ، قال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**» [رواه البخاري ومسلم].

وهكذا فإذا بدأ الرجل يظن بامرأته سوءاً فحينئذ تنتابه هواجس فكرية تدفعه إلى الغيرة، وهذه الغيرة تزداد إذا بدأ يتحقق من صحة ما يظنه حيث يتوصل إلى أمور ربما يكون بعضها صحيحاً وبعضها خطأ، وبذلك تشتد غيرته في حالة الصحة، ويخبو أوارها في حالة الخطأ . وكلُّ ذلك له آثاره السلبية على سلوكه وتصرفاته، وستجد شرحاً لسوء الظن في الفقرة ثانياً.

ف ـ قد يكون الهاتف وما يتم في الهاتف سبباً من أسباب إشعال نار الغيرة، وربما تكون الزوجة بريئة والزوج كذلك، ولكن لابد من التساؤل بين الرجل وزوجته، وعلى كلا الزوجين ألا يلتفتا لمثل هذه الأمور؛ لأنها تحدث في كل

بيت، ومصدرها ثلة من شياطين الإنس الذين لا يفقهون.

ص: وليس غريباً أن أقول: إن مشاهدة الأفلام الرخيصة من الزوجين كليهما سبب رئيس من أسباب اشتعال نار الغيرة بينهما إذا كانا يشاهدان الفلم معاً، حيث كل منهما يراقب تصرفات الآخر أو يختلس النظرات بشأن أن يعرف مقدار تأثره بما يشاهد، وصدق من قال:

كـــلُّ الحـــوادث مبـــدأهـــا مـــن النظـــر

ومعظـــم النـــار مـــن مستصغـــر الشَّـــررِ

ولو قُدّر للرجال أن يطَّلعوا على خبايا نفوس زوجاتهن وهن يشاهدن المصارعة الحرة وما تمنته كلٌّ منهن لعلموا وأيقنوا أين يكمن الخطر، وازداد إيمانهم بقول الرسول ﷺ: «**فالعينان زناهما النظر..... والقلب يهوى ويتمنى...**» [رواه مسلم].

* * *

ثانياً : سوء الظن

قال رسول الله ﷺ : «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث. . . » [متفق عليه] وقد ورد في لسان العرب : الظن شك ويقين، لكنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبر ، ويقين العيان علم ؛ لأن الظن قد يجيء بمعنى العلم كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٠]. ، أي علمت، والظن المنهي عنه هو الشك، وهو الموصوف بأنه أكذب الحديث، وليس الظن محصوراً في ناحية معينة من نواحي الحياة، وإنما يتناول أموراً كثيرة، وحسبنا أن نعالج هذا الموضوع فيما يتعلق بالرجل وزوجته؛ لأن في هذا التحذير درءاً لكثير من المفاسد وسدًّا لذرائع الشرِّ التي قد تحدث بين الزوجين، علماً بأن سوء الظن في الغالب مدعاة لحدوث الشقاق بينهما، وقد يؤول الأمر إلى الفراق، والأمثلة على هذا كثيرة في المجتمع، والأمر الذي ينصح به الحكماء وأولو النهى هو عدم التحقيق في الظن، وفي هذا فوائد عظيمة أهمها :

١ ـ عدم فسح المجال لنوازع النفس ووساوس الشيطان أن تسيطر على الإنسان؛ فيعيش في همٍّ وفي غمٍّ وفي نكدٍ؛ لأن

الشيطان كما ورد في القرآن الكريم: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ [الحج : ١٣]. ، وكذلك النفس فإنها أمارة بالسوء بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣].

٢ ـ سد الفرجة أمام الحاسدين من الجيران والأقربين حيث بعضهم يروق له أن يتعكر صفو حياة فلانة مع زوجها، وينهدم سياج الوئام بين حياتهما الزوجية حسداً من عند أنفسهم وحبًّا للشر من أجل الشر.

٣ ـ إحاطة عرض الزوجة وشرفها بالستر حيث التحقيق يدعو الناس إلى التساؤل، وإذا خلوا إلى بعضهم يجعلون ما سئلوا عنه مادة حديثهم، وقد يميلون إلى الشر والفتنة أكثر من ميلهم إلى حبِّ الستر، غير مبالين بالوعيد الشديد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩].

٤ ـ قد يتناهى إلى سمع الزوجة ما يسأل الناس عنه زوجها فلا يروق لها ذلك، وربما تلتزم الصمت حيال ما سمعت، ولكن هذا الالتزام لا يطول أمده حيث لابد أن ينفد صبرها، وتسأل زوجها بلهجة ربما لا يستسيغها وخاصة إذا كانت واثقة من عفتها وطهارتها، وقد يطول لسانها عليه وترميه بسهام الكلام

السيئ دفاعاً عن نفسها، وحينئذ لابد أن يجابهها ليبرر موقفه فتعود المشكلة من جديد، وربما يؤول الأمر إلى الفراق؛ لأن حالة الغضب لها آثارها السيئة حيث الشيطان محيط بها ـ وأسوأ ما يسعى إليه الشيطان وأعوانه هو إفساد ذات البين والتفريق بين الزوجين.

٥ ـ **وثمة أمر آخر من المحتمل** أن يحدث، بل أقول لابد أن يحدث، وهو موقف أهل الزوجة إذا سمعوا أن صهرهم يسأل ويحقق ويبحث أبعاد المشكلة مع أقرانه وجيرانه، وقد يتصدى لهذا الأمر الوشاة والنمامون فيوغرون صدور من عرفوا من أهل الزوجة . . . وتبدأ نار المشكلة تتأجج من جديد، وقد يصعب إطفاؤها، وربما تتفاقم المشكلة أكثر وأكثر إذا تصدى للزوج شباب مراهقون من إخوان الزوجة لا يأبهون بعواقب الأمور، وقد توسوس لهم أنفسهم بجنحة أو جريمة أو ربما يؤدي إلى ذلك لا قدر الله.

٦ ـ **وهناك احتمال ضعيف جداً** وهو أن ينتهي التحقيق بعد الظن إلى قناعة الزوج أن الأمور التي دعت إلى إساءة الظن لم تكن حقيقية، وحينئذ تتبدد التهم وتصفو الحياة الزوجية، وتعود الأمور إلى مجاريها، ولكن هذا التفاؤل ليس على

إطلاقه؛ لأن المرأة بشرٌ ولها أحاسيسها وشعورها وكرامتها، وتراها ولو رضخت للواقع مراعية ظروف أطفالها أو المجتمع الذي حولها فإن ذلك التحقيق بعد الظن يعتبر بمثابة ثغرة أو فجوة في الحياة الزوجية لا يمكن أن تُسَدَّ بأسف أو اعتذار أو غير ذلك . ولا يخفف من آثارها إلا التوبة إلى الله عز وجل والاستغفار وطلب العفو من الزوجة عما اتهمت به من كذب وزور وبهتان.

٧ـ وهناك أمر ذو بال أيضاً وله أهميته يتعلق بالتحقيق بعد الظن السيئ بالزوجة، وهو موقف الأولاد إذا كانوا كباراً لاسيما وأن أكثر الأولاد يتعاطفون عادة مع أمهم، ويصعب عليهم أن تهان كرامتها أو يدنس عرضها، أو يُساء إليها بقول أو عمل، وينتج عن هذا تصديهم لأبيهم ووقوفهم تجاهه مواقف سلبية تؤثر في سلوكهم، وتحجب عنه طاعتهم إلا بالإكراه، أما إذا كانوا في سن التمييز أو أكبر بقليل فإنهم لا يملكون عصيان أبيهم خوفاً من بطشه وقسوته، ولكن تستطيع الأم الحاقدة أن تزرع في نفوسهم الكراهية لأبيهم، وفي هذه الحال لا يحتاجون إلى مبررات ولا برهان، وإنما يتلقون كلامها بالتصديق والقبول في ظل العاطفة التي

يؤججها بكاء أمهم وهي تشكو لهم أخطاء أبيهم بأسلوب يتناسب مع سنِّهم؛ ليكونوا أقدر على الاستيعاب والفهم واختزان الحقد والكراهية في قلوبهم على أبيهم.

٨ ـ قد يكون للتحقيق بعد الظن آثار بعيدة ليست في الحسبان، وأهمها:

أ ـ لجوء الزوجين إلى ما يسمى بـ (الملاعنة) وذلك عندما ينتهي الأمر بالنسبة للزوج بعد التحقيق ويتهمها بـ (الزنا) حيث لا يوجد شهود على ذلك.

ب ـ حد القذف : قد يرتكب الزوج أثناء تحقيقه بعد ظنِّه ما يوجب عليه حدَّ القذف إذا اتهم بالكلام آخرين بالزنا غير الزوجة ولم يأت بأربعة شهود.

جـ ـ قد يؤثر التحقيق بعد الظن على الزوج نفسه فيما إذا انتهى التحقيق بطلاق زوجته، حيث تضع بعض النساء إشارات استفهام حوله وخاصة عندما يريد أن يتزوج بامرأة أخرى، ويعتبرن تصرفاته مع الأولى نقطة سوداء في طبعه وحياته.

٩ ـ وعوداً على بدء فإن عدم التحقيق بعد الظن ليس معناه كبت الغيرة في نفس الرجل، بل إن الغيرة صفة محمودة،

والذي لا يغار على عرضه يعتبر ديوثاً إذا سكت على منكر فعلته زوجته أو إحدى محارمه، ولكنه أيضاً يجب أن تكون الغيرة ضمن ضوابط شرعية حتى لا يُساء فيها لأحد، قال ﷺ : «**أتعجبون من غيرة سعد؟ أنا أغير من سعد، والله أغير مني، ولذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله**» [رواه مسلم].

*** وختاماً أحب أن أتوجه بالنصائح التالية لكل من الزوج والزوجة:**

١ ـ نصائح للزوج:

* اتق الله في زوجتك ولا تظن بها إلا خيراً، وأحطها بسياج الرعاية الزوجية في ظل تقوى الله عز وجل والاشفاق من عذابه.

* لا تصغ لكلام الوشاة متذكراً قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

* نفّذ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه ١٣٢].، فإن الصلاة حصن حصين ضد نوازع النفس وقرينات السوء ووساوس الشيطان.

* طهّر بيتك من الشوائب وأسباب الضلال مثل :
- الأفلام الرخيصة الساقطة .
- المجلات الخلاعية .
- السائق سواء كان مسلماً أو غير مسلم .
- الخادمة غير المسلمة .

٢ - وبالمقابل فإنني أوجه هذه النصائح للزوجة :

* لا تكثري الخروج من المنزل إلا للضرورة .
* احذري من المعاكسات الهاتفية ولا تلقي لها بالاً .

لا تنخدعي بمعسول كلام الصديقات، ولا تكترثي بنصائحهن التي يستاء منها زوجك .

* تزيني لزوجك واحذري من الخروج إلى الأسواق متبرجة، وتذكري قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١].
* لا تركبي مع السائق ولو إلى المستشفى .
* لا تعيبي على زوجك أشياء خلقية ابتلاه الله عز وجل بها .
* لا تذكري أمام زوجك صفات جارتك أو أية واحدة من صديقاتك .

* التزمي بقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور : ٣١].

* لا تسمحي للخادمة بخدمة زوجك فأنتِ أحق بخدمته، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق.

* لا تتضايقي من غيرة زوجك عليك، فإن الغيرة عنوان المحبة.

* لا تتجاوزي بغيرتك على زوجك أو غيرته عليك ضوابط الأدب معه؛ لأن بعض النساء تُعبر عن ذلك بالسباب والشتم وغير ذلك.

وختاماً أسأل الله سبحانه أن يلهمنا رشدنا، ويعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *